اعرف قدر نفسك

🔺 قال الفضيل بن عياض :

"رأس الأدب عندنا أن يعرف الرجل قدره." [الحلية: ١٠-١٦٨]

🔺 وقيل لابن المبارك: أوصني!

قال: "اعرف قدرك." [الجرح والتعديل: ١-٢٨٠]

هاتان العبارتان المفيدتان من نقل أخي الشيخ أبي الفضل محمد الصويعي -حفظه الله- فقلت: فإن قال قائل: **كيف يعرف الإنسان قدره؟ هل من بيان للمعنى؟**

🔺 الجواب: معرفة قدر نفسك بالإيمان بما جرت به المقادير؛ من خير أو شر عليك، وأنت تؤمن بأن ترك الأسباب؛ كالعمل؛ والاجتهاد في الإنتاج؛ والإتقان؛ وغير ذلك من الأسباب المطلوبة والمشروعة؛ خدش في العقيدة، كما أن الاتكال والاعتماد فقط على الأسباب المشروعة شرك بالله، والمسلم يبذل هذه الأسباب المشروعة لينال بذلك رضى الله وينال خيرية اليد العليا كما فضلها ﷺ على اليد السفلى. وقد قال ابن القيم -رحمه الله-: "فلا تتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب التي نصبها الله تعالى، وإن تعطيلها يقدح في نفس التوكل". ولذلك خاطبنا الله بقوله: {يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم} فمعرفة قدرك بأن تزن نفسك ولا تنتقصها، كما لا يجب أن تحملها ما لا تطيق، كما في حديث أبي ذر -رضي الله عنه- قال: قال لي رسول الله ﷺ: "يا أبا ذر، إني أراك ضعيفاً، وإني أحب لك ما أحب لنفسي، لا تَأمَّرنّ على اثنين، ولا تَولَّيَنَّ مال يتيم" وفي رواية قال أبوذر: قلت يا رسول الله، ألا تستعملني؟ فضرب بيده على منكبي ثم قال: "يا أبا ذر إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها، وأدى الذي عليه فيها."

وهنا وقفة تفكر! فالمسلم لن يشك في عظمة أبي ذر، وبذله، وإخلاصه، وعلمه الشرعي، وسبقه، وصدقه، وقد نطق بذلك من لا ينطق عن الهوى، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ ﷺ يَقُولُ: "مَا أَقَلَّتِ الْغَبْرَاءُ، وَلَا أَظَلَّتِ الْخَضْرَاءُ، مِنْ رَجُلٍ أَصْدَقَ لَهْجَةً مِنْ أَبِي ذَرٍّ"، ولكنه -رضي الله عنه- مع مكانته الشرعية؛ وصدقه؛ وعلمه الشرعي؛ وسبقه؛ وصحبته لمعلم الأمه نبي الله ورسوله محمد ﷺ؛ فهو كما قال النبي ﷺ: "إنك ضعيف"، فالمسلم يعرف قدر نفسه؛ ويزن نفسه بلا كبر ولا هوان ، ورحِمَ الله امرأً عرَف قدرَ نفسه والله الموفق.

كتبه الشيخ محمد عثمان العنجري

الأحد 19 ديسمبر 2021 الموافق 15 جمادى الأولى 1443 هـ